رابطة العالم الإسلامي
المجمع الفقهي الإسلامي

مؤتمر الانحرافات الفكرية بين
حرية التعبير ومحكمات الشريعة

حرية الرأي والتعبير عنه
(من منظور عقدي)

د. ناصر بن عبد الكريم العقل
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وصلى الله وسلم على رسوله النبي الأمين القائل: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

وبعد: فقد ظهرت في الآونة الأخيرة شعارات ودعاوى مثل الحرية والديمقراطية وحرية الرأي والتعبير عنه، والرأي والرأي الآخر ونحوها من الشعارات الغربية التي تقوم على الإعراض عن دين الله، وتشيع الانفلات من الدين والقيم والأخلاق، والتي غزت أفكار المسلمين وأخلاقهم وديارهم، واستهدفت فئات من المسلمين لا سيما فئات من المثقفين والأدباء والإعلاميين والأكاديميين ونحوهم حتى صارت ظاهرة عامة دخلت عقول كثير من الأجيال، وتوارثتها جيلاً بعد جيل ومع دخول المحتل الأجنبي لبلاد المسلمين زادت مثل هذه الشعارات وازدادت مع ظاهرة الابتعاث غير المرشَّد، ومن أخطر مظاهر هذه الشعارات وأشدها دعوى (الرأي والرأي الآخر) حول العقيدة ومسلمات الدين وحدوده، وثوابته العلمية والعملية والمنهجية، دون تمييز بين ما يسوغ فيه الخلاف وما لا يسوغ ودون اعتبار لشروط الاجتهاد في الدين وضوابطه حيث تسوّر منبر الاجتهاد من ليس بأهلٍ لذلك بل دون اعتبار لحرمات الدين، فكثر القول على الله بغير علم، والخوض فيما نهى الله عن الخوض فيه، ودون احترام لأهل العلم والاختصاص، فأفرز ذلك كثرة من يقولون في دين الله برأيهم من غير أهلية ولا روِيّة، ولا جدارة ولا تورع، فخاضوا بالباطل وكثر القيل والقال. وإذا ما نُصحوا ونبهوا رفعوا شعار حرية الرأي وحرية التعبير عنه،

(١) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦)، والدارقطني (٥٢٩)، والحاكم (١/ ٩٣).

فتجرؤوا على دين الله، وتقوَّلوا على الله ورسوله، وهذا أمر خطير في دين الله؛ لأن الله تعالى جعل القول عليه بغير علم قرين الشرك، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ..**﴾ الآية، وفيها: ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:٣٣).

وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء:٣٦).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»[1].

كما حذر السلف من التقول على الله ورسوله ﷺ. لذا استوجب الأمر أن أسهم بهذا البحث لبيان حقيقة هذه الدعوى وخطورتها على المسلم وأمته، وقبل ذلك دينه وعقيدته، والله أسأل أن يوفق ويسدد الخُطى ويبارك في الجهود ويحمي الأمة الإسلامية من خطر الدعوات الهدامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الباحث
ناصر بن عبد الكريم العقل
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام بالرياض

(١) رواه النسائي في فضائل القرآن (ص ١٠٩-١١٠)، والترمذي (٢٩٥١)، وأحمد في مسنده (٢٠٦٩، ٢٤٢٩)، والطبري في تفسيره (برقم ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧) وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وحسنه الترمذي والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٥٧).

مفهوم الرأي في اللغة والاصطلاح

الرأي لغة: النظر بالقلب[1]، والاعتقاد[2]، ومنه التفكير في الأمر والتدبير والاجتهاد في الشيء، وإعمال العقل فيه.

أما اصطلاحاً: فيقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان حقيقته: «وحقيقته ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات، فلا يقال في الأمر الذي لا تختلف فيه العقول، ولا تتعارض فيه الأمارات: إنه رأي»[3].

ويمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة لغة واصطلاحاً تعريفاً للرأي فنقول:

الرأي: وجهة النظر التي يبديها الإنسان في أمر ما.

(١) المحكم لابن سيده (١٠/ ٣٣٨)، لسان العرب (١٤/ ٢٩١).
(٢) المحكم (١٠/ ٣٤٣)، القاموس المحيط ص ١٦٥٩.
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٦٦).

أبيض

مصطلح الرأي الآخر عند الغرب وعلاقته بحرية الرأي

من أسباب اللبس والتشويش الفكري دخول مفردات أجنبية تحمل مفاهيم مختلفة ومختلطة، تجمع أموراً إيجابية وأخرى سلبية مما جعل الناس في حيرة منها والتباس، وهذا يحتم على العلماء تحديد معاني هذه الألفاظ خاصة إذا كانت متصلة بالعلوم الشرعية[1].

ومن الألفاظ المجملة كلمة (الرأي الآخر) التي أصبح الجميع في العصر يتحدث عنها بحرارة وحماس ويفرض لها حقوقاً واحتراماً وتبجيلاً دون أن يكلف نفسه بتحديد مقصوده: من هو الآخر؟ وسبب اختلاف الناس في تحديده يرجع إلى الإجمال في أصل اللفظ.

فمصطلح (الآخر أو الرأي الآخر) ولد في الغرب وكان وجوده مسبوقاً بوجود مصطلح (الأنا) لأن الغرب يرى أنه هو (الأنا) وبقية العالم تُسمَّى (الآخر) فنشأ ذلك المصطلح كدلالة على الاستعلاء الغربي تجاه الآخرين[2]، وبناء على نظرة الغرب لنفسه (كأنا) ولغيره (كآخر) تشكلت سياسته تجاههم بوصفهم إما برابرة يجوز احتلال أرضهم وإهدار جميع حقوقهم الإنسانية لأنهم كما يقولون لا يحق لهم ملك الأرض لأنهم بلا قانون ولا إيمان، أو مجرد عبيد خلقهم الله لخدمة الرجل الأبيض[3]. إن خلاصة مصطلح (الآخر) أنه مصطلح غربي يدل على السلبية والعدوانية في مقابل (الأنا) الغربية الدالة على العلوّ والزهو والتغطرس، ومع كل تلك المعاني السلبية والعدوانية الكثيرة التي اقترنت في الغرب بتاريخ مصطلح (الآخر) إلا أننا نجد كثيراً من الكُتّاب العرب للأسف ينعون على التراث العربي الإسلامي عدم وجود مصطلح (الآخر) في أدبياته!

---

(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر - د.عبد الرحمن الزنيدي، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) راجع كتاب ابن تيمية والآخر ص ٧٤، للدكتور عائض الدوسري، ط أضواء السلف.

(٣) أيديولوجيا الغزو - فرانسوا شاتليه ص ١١.

ويكـون مصـطلح (الآخـر والـرأي الآخـر) مـن الألفـاظ المجملـة والتـي استخدمت بشكل واسع في هذا العصر، وعلى وجه الإطلاق فلا يعرف بالتحديد من هو الآخر؟ هل هو الذي يختلف عنا بلغته وقوميته فقط أم هو المسلم؟ أم هـو أهل الذمة وأهل الكتاب؟ أم هو الوثني؟ والملحد؟ أم المسلم المخالف المبتدع؟ أم المسلم المجتهـد في الفـروع؟ أم المقصـود جميـع هـؤلاء دون تمييـز؟ فـلا بـد مـن الاستفصال والتبين حتى يُعرف المقصود بالآخر لأن بعـض الكُتَّـاب المعـاصرين أخذ على عاتقه الكلام عن حقوق الآخر دون أن يحدد ماهيته وحدوده[1].

والآن أصبح الآخر الذي يفـرض رأيـه ومعتقـده ونهجـه في الحيـاة بحريـة منفلتة، هو المعرض عن دين الله المنفلت من القيم والأخلاق من ليبرالي وعلـماني، وحداثي وباطني ونحـوهم ممـن يسـعون لفـرض منـاهجهم وأخلاقيـاتهم عـلى المسلمين تحت هذا الشعار الخادع (حرية التعبير عن الرأي).

(١) ابن تيمية والآخر ص ٨٩-٩٠، وراجع (حرية الرأي) للشيخ إبراهيم بن محمد الحقيل.

وسيلة الرأي (العقل والفكر)

وإذا كنا نتحدث عن الرأي فلا بد من التعرض للوسيلة التي تستخدم للرأي: وهي العقل والفكر، ونظراً لأنه وسيلة الرأي فمن المناسب أن نذكر قيمة العقل والرأي في الإسلام، وحدود استخدام الرأي والعقل في ضوء القرآن والسنة وثوابت الدين، وهل للرأي والعقل أن يقرر أو يحكم في مسائل الاعتقاد والغيب سوى التسليم للوحي المنزل من الله تعالى؟

أبيض

مقام العقل والرأي ومكانته في الإسلام[1]

قد يتبادر لأذهان بعض من يقرأ مثل هذا البحث، في ذم الرأي المنحرف، أن الإسلام يمقت العقل والرأي مطلقاً وأننا إنما نذم أصحاب الرأي المخالف للدين لمجرد أنهم استعملوا عقولهم، التي وهبهم الله. وليس الأمر كذلك.

والحق: أن الإسلام قد رفع قيمة العقل والفكر الذي هو وسيلة الرأي وأعلى من شأنه، وجعل التعقل والتفكير من طرق المعرفة الإسلامية، يلزم كل مسلم أن يؤديها حقها، وجعل العقل هو مناط التكليف ووسيلة الفهم والتفكر والرأي، ونعى على أولئك الذين لم يستعملوا عقولهم في معرفة الحق والهداية، فهلكوا.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ (الملك).

وإذا كان العقل هو وسيلة النظر والرأي، ووسيلة التفكير والتدبر، فقد جعل الله ذلك كله واجباً على كل إنسان، ومن تركه فهو آثم، قال تعالى: **﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾** (النحل: ٣٦).

وقال تعالى في ذم الذين لا يعقلون: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** (المؤمنون: ٨٠).

وقد ورد هذا التوبيخ **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** في القرآن أكثر من أربع عشرة مرة.

وقال: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (يوسف: ٢)؟

وقد وردت في القرآن **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** أكثر من سبع مرات.

وقال: **﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾** (يس: ٦٢).

وقال: **﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (الروم: ٢٨).

وإذا كان العقل وسيلة النظر والرأي والاعتبار فقد قال تعالى: **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾** (الحشر: ٢).

---

(١) للاستزادة راجع: الاتجاهات العقلانية المعاصرة. للباحث.

وكذلك الأمر بالتفكّر وإعمال العقل والحواس، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (البقرة: ٢١٩).

وقد ذكر التفكر في القرآن أكثر من سبعة عشر موضعاً.

وقد ذم الله أولئك الذين يتابعون آباءهم دون تعقل ولا تفكير.

فقال: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ١٧٠).

والإسلام إنما كرَّم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات بل جعله سيِّداً في هذا الكون بالعقل، وبالعقل سخَّر له ما في السموات وما في الأرض وجعله خليفةً فيها يعمرها.

فهل يبقى بعد ذلك شك عند أحد في أن الإسلام يحترم العقل والرأي الرشيد ويقدره كل التقدير؟

ثم إن الإسلام عندما حظر على العقل التفكر في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، والخوض في أمور العقيدة وأمور الغيب والقدر، وألزمه بالتسليم والتوقف عند كل ما ورد عن الله تعالى ورسوله ﷺ، مما يتعلق بذلك، فإنما فعل ذلك إشفاقاً على هذا العقل الكريم من العِمايَة في متاهات المجهول الذي لا طاقة للعقل بإدراكه.

ثم إن الإسلام في الوقت نفسه فتح للعقل البشري مجالات الانطلاق الواسع في حدود الواقع في حياته، وهو والمخلوقات من حوله، بل وفي الأرض كلها والسماء، وهذا الكون الرحب الواسع الفسيح.

فللعقل البشري أن يبدع، وأن ينظر ويجتهد ويحكم ولكن بالضوابط الشرعية، وأن يتفكر ويعتبر ما وسعه الإبداع والنظر، وله مع ذلك عليه الأجر والمثوبة إذا هو امتثل أمر الله.

أما الغيب والتفكر في ذات الله فليس بمقدور العقل بالرأي المجرد، وليس من وظيفته أن يفعل ذلك، ولن يعود عليه فعله إلا بالحرج والعيِّ والعنت العقلي والنفسي، والخروج عن نطاق مصلحة الإنسان في معاشه ومعاده.

والشعارات الحديثة التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث، هي التي دعت أتباعها إلى الخوض في أمور الغيب ومعارضة أمر الله بالرأي المجرد، ولم تسلِّم بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، مما هو خارج عن نطاق العقل والرأي، وأقحمته فيما لا طاقة له به. ونحن نذمها من هذا الوجه.

فإن مقتضى الإيمان بالغيب: التسليم لله فيه، بما ورد في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

والإنسان في هذا العصر - أكثر العصور تقدماً في الكشوف والاختراعات - أعلن عجزه وقصوره عن إدراك أكثر حقائق الكون المغيبة، حتى تلك الأشياء التي يمارسها ويعيشها يومياً، بل إن العقل يجهل نفسه، ويجهل الروح التي تُمِدُّه بالحياة بأمر الله، قال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ (الذريات:٢١).

وقال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ (الإسراء:٨٥).

فإكراماً لهذا الإنسان، وإشفاقاً عليه، وعلى عقله ورأيه المحدود، من التشرد والتبدد والتيه والضلالة والهلاك، وسوء العاقبة، أراحه الله من الخوض في الغيب وثوابت الدين، فجاءه الوحي يخبره عما فيه صلاحه من أصول العقيدة السليمة، ومسائل الغيب، ورسم له سبيل الخير والسعادة في الدنيا، وأطلق لعقله فيما عدا ذلك الحرية بل أوجب عليه التفكر والرأي والنظر في خلق الله، وتسخيره فيما يرضي الله تعالى.

ولم يكتف الإسلام بذلك، ولكنه جاء هادياً ومرشداً للرأي في أربع مسائل لا قدرة للعقل بها أو لا يستقل بإدراكها على التفصيل، ولا تدخل في نطاق الرأي البشري، ولا تدخل في حرية الرأي، وهي:

١- الإيمان بالغيب عموماً.

٢- تقرير تفصيلات مسائل العبادات والأخلاق وما يكون منها خيراً وفضيلة وصلاحاً، وما يكون شراً ورذيلة وفساداً، وإن كان العقل السليم قد يدرك أصول الأخلاق إجمالاً، لكنه لا يحيط بها تفصيلاً.

٣- مسائل التشريع وعلله والحلال والحرام، على شرع الله وما يرضي الله تعالى وتسعد به الإنسانية.

٤- القدر خيره وشره فهو سر الله في خلقه.

لأن الإنسان في هذه المسائل لا يمكنه البحث فيها مستقلاً بنفسه وبعقله ورأيه، ولأن العقول تتفاوت وتختلف حتماً في مفهوم الأصلح والصالح وضدهما في هذه الأمور.

ثم لا ننسى ما أثبته التاريخ أن الإسلام هو الذي دفع العقل البشري إلى النظر والرأي، والبحث والاستنتاج، وحرَّره من الخرافة والجمود والأوهام، فازدهرت الحضارة الإسلامية، وآتت ثمارها الطيبة، وأن تخلف المسلمين في العصور المتأخرة كان بسبب انحرافهم في الدين، وهيمنة البدع على عقولهم وأعمالهم، فطمست معالم الرأي الرشيد لديهم.

وهل عرف الغربيون معنى العقل ووظيفته إلا حين تتلمذوا على المسلمين؟!

مما جعلهم يفرطون ويغلون في تقدير العقل والعلم، حتى درجة العبادة والتقديس، مما كان له أسوأ الأثر على البشرية كلها، ولو اهتدوا إلى منهج الإسلام المعتدل في تقدير العقل وتوجيهه لسعدت الإنسانية بهذا العلم.

عوامل سداد الرأي وضبط حريته

هناك عوامل تؤثر في الرأي تجعله سديداً صائباً، ومن ذلك[1]:

١ - العلم، وهو نوعان:

(أ) علم بدين الله تعالى جملة وتفصيلاً فهذا لا يحصل إلا بالفقه بدين الله من مصادره (القرآن والسنة) على نهج السلف الصالح، بالضوابط والقواعد المعروفة لدى أهل العلم.

(ب) علم بأمور الدنيا ومجالاتها المتعددة، وهذا إنما يكون بتلقيه وتحصيله بأصوله عند أهل الاختصاص. ومن الجدير بالذكر أن العلم له أهمية كبيرة في سداد الرأي فلا يمكن لجاهل بالدين أو بأي علم من العلوم أن يكون سديد الرأي، والله تعالى يقول: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر: ٩).

(ج) علم يحصل بالتجارب أو ممارسات الحياة وتقلباتها، وهو مما يصقل المواهب، وينمي القدرات.

٢- الإخلاص وصدق النية: وعلى ذلك معوّل كبير في إصابة الرأي وسداده، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ [البينة: من الآية٥].

وجاء في الحديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2].

٣- الحكمة: وتنبع من العلوم الشرعية فالحرص على إصابة القول والرأي يكون من خلال اتباع الكتاب والسنة والتمسك بهما ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ (البقرة: ٢٦٩).

---

(١) انظر (حرية الرأي) للشيخ إبراهيم بن محمد الحقيل، والحوار في السرة النبوية للدكتور محمد الحمد.

(٢) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

٤ – التقوى: وقد سبقت الرأي السديد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١) فتأمل كيف أمر بالتقوى وبعدها أمر بالقول السديد فطريق القول السديد هو التقوى وتعني مراقبة الله تعالى في عملك وقولك.

٥- صحة المعتقد: وهذا في أمور الدين بلا شك مؤثر قوي في إصابة الرأي وسداده وبقدر صحة المعتقد في قلب العبد يكون سداد رأيه؛ ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة أصحاب المعتقد الصحيح هم من أسدِّ الناس رأياً وأعظمهم نفعاً وتوفيقاً.

٦- التجرد من الهوى: سواء كان في الاجتهاد في الدين، أو في الرأي في أمور الدنيا، فالهوى من عوامل الضلال في الدين، والانحراف في الرأي، وآفة تسبب الصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿**وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ (ص: ٢٦).

٧- توافر القدرات: وهي تعني الكفاءة والموهبة العلمية والعملية في أشخاص يكون منهجهم مناراً للبشر يستنيرون بهدى الله على منهاج النبيين والدعاة والصالحين الذين قال الله فيهم: ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (الأنعام: ٩٠).

٨- سلامة المنهج: وأعني بسلامة المنهج: السير على منهاج النبوة وسبيل المؤمنين والسلف الصالح والسلامة من المخالفات العقدية وغيرها، فالخلط في المنهج سبب من أسباب فساد الرأي في القول والعمل، وقد جاء فيه الوعيد، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا**﴾ (النساء: ١١٥).

٩- الورع: وهو ملاك هذا الدين، وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بقوله: «هو ترك ما تخاف ضرره في الآخرة»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨).

١٠- الرفق والأناة: وهما من محاسن وخصال الدين الحنيف وقد حث النبي ﷺ عليها كثيراً حيث يقول: «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»[١]، وقال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة»[٢].

فالتأني والتؤدة عند إبداء الرأي في الأمور خير في كل شيء، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»[٣].

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢٠١١).

(٣) رواه أبو داود (١٣/ ١٣٦) بشرح عون المعبود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٥٦.

أبيض

آداب إبداء الرأي وضوابط التعبير عنه عند الحوار

الآداب التي ينبغي توخيها في الرأي والرأي الآخر عند التحاور إنما تكون بالحوار الراقي الذي يقوم على جملة من الآداب يمكن أن نتعرف عليها من خلال الكتاب والسنة، فمن تلك الآداب[1]:

١- استصحاب النية الصادقة وسلامة المقصد، وتقوى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)

٢- التواضع وعدم الترفع: فالتعالي والاستخفاف بالمحاور من أشد آفات الحوار، ومن أمثلة تواضع النبي ﷺ ما جاء في حديث أبي رفاعة - رضي الله عنه - قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال: فقلت: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه. قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتى بكرسي حَسِبتُ قوائمه حديداً قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى إلى خطبته فأتم آخرها»[2].

٣- إتاحة الفرصة للمحاور للتعبير عن رأيه: فلا ينبغي ترك الجليس قبل أن يكمل حديثه فهذا مما ينافي إكرام الجليس، وفيه استجلاب الضغينة، قال أبو مجلز - رحمه الله -: إذا جلس إليك رجل يتعمدك فلا تقم حتى تستأذنه»[3].

وقال أسماء بن خارجة: «ما جلس إليّ رجل إلا رأيت له الفضل عليَّ حتى يقوم عني»[4].

وفي حوارات النبي ﷺ مع كفار قريش، نجد التطبيق العملي لممارسة آداب المحاورة؛ حيث أنصت النبي ﷺ وأعطاهم الفرصة الكافية، كما وقع في حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة تركه النبي ﷺ يقول ما عنده بل قال له النبي ﷺ:

---

(١) انظر إلى: الحوار في السيرة، للدكتور محمد الحمد.

(٢) رواه مسلم (٨٧٦).

(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق ص ١٥٣.

(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق ص ١٥٣.

«قل أبا الوليد أسمع» وبعد أن انتهى عتبة من كلامه قال له: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني...» الحديث[1].

فتأمل كيف خاطبه النبي ﷺ بكنيته وكيف أعطاه الفرصة لعرض كلامه كله؟

وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: «ثلاثة لا أمَلُّهم: جليس ما فهم عني، وثويب ما سترني، ودابتي ما حملت رجلي»[2].

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تعلَّم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه»[3].

إن المتحدث البارع هو المستمع البارع، وبراعة الاستماع تكون بالأذن، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه. ومن أعظم آفات الحوار عدم الإصغاء للمحاور، أو مقاطعته أو منازعته الحديث أو التشاغل عنه، أو متابعة متحدث آخر أو إجالة النظر يمنة ويسرة، إلى غير ذلك مما ينافي آداب الحديث والحوار.

فيجب إعطاء المحاور الفرصة كاملة في الحوار ليبدي رأيه: لا يحسن أن يقاطع المحاور دون إكمال حديثه أو بيان وجهه نظره؛ فإن ذلك يحمل استخفافاً وسخرية بالمتحدث، ومن مظاهر عدم إعطاء الفرصة القيام من المتحدث.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «وفيه استحباب تلطف السائل في عبارته وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم»[4].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله -: «واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه من جميع الطبقات وازدرائه، والاستهزاء به قولاً أو فعلاً أو إشارة أو تصريحاً أو تعريضاً؛ فإن فيه ثلاثة محاذير:

---

(١) سيرة ابن إسحاق (٤/ ١٨٧-١٨٨)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٣٠-١٣١)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٦٣-٦٤).

(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٧).

(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق ص ١٥٥ للخرائطي.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ١٦٥).

أحدها: التحريم والإثم على فاعل ذلك.

الثاني: دلالته على حمق صاحبه، وسفاهة عقله وجهله.

الثالث: أنه باب من أبواب إثارة الشر والضرر على نفسه»[1].

٤- الإصغاء وحسن الاستماع للمحاور: فإن من المروءة حُسن الاستماع والإصغاء للمحاور المتحدث ولهذا جاء الاهتمام بذلك على لسان سلف الأمة:

قال ابن عباس - ﷺ -: «لجليسي عليَّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل وأن أوسع له في المجلس إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث»[2].

٥- إنزال المحاورين منازلهم: حيث يعطى كل متحاور منزلته اللائقة به؛ لحديث «أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم»[3].

ومن إنزال المحاور منزلته:

(أ) التعرف على أسماء المحاورين.

(ب) مخاطبة المحاور بما يحب أن ينادى به.

(ج) معرفة مستوى المحاور[4]، ففي حديث معاذ عندما بعثه النبي إلى أهل اليمن قال: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب»[5]، فعرَّفه واقعهم وحالهم أولاً ثم ذكر له ما الذي ينبغي أن يبدأ به معهم في الدعوة.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فوائد حديث معاذ في تلك الوصية: «هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية بمخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»[6].

٦- التسليم للمحاور: أي إن أبدى رأياً صائباً. كما يحسن التنبيه على أن الرجوع عن الرأي إذا كان الحق في خلافه لا ينافي الثبات على المبدأ، قال ابن حزم

---

(١) الرياض الناضرة ص ٤١٩.

(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٦).

(٣) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ص ٢٠.

(٤) الحوار في السيرة النبوية ص ٩٨-١٠٤ للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد.

(٥) رواه البخاري (٣/ ٣٥٨) بشرح الفتح.

(٦) فتح الباري (٣/ ٣٥٨).

- رحمه الله -: «الثبات الذي هو صحة العقد، والثبات الذي هو اللجاج، متشابهان اشتباهاً لا يُفرِّق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق؛ فاللجاج هو ما كان على باطل، أو ما فعله فاعل نصراً لما نشب فيه، وقد لاح له فساده، أو لم يَلُحْ له صوابه ولا فساده، وهذا مذموم وضده الإنصاف، وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق، أو على ما يعتقده المرء حقاً ما لم يَلُحْ له باطله، وهذا محمود، وضده الاضطراب، وإنما يلام بعض هذين لأنه ضيّع تدبر ما ثبت عليه، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل»[1].

وأثر عن الشافعي قوله: «ما ناظرت أحداً فباليت أظهر الحق على لسانه أو لساني»[2]

٧ – استنباط آراء المحاورين واستشارتهم: وذلك لاستخراج ما لديهم من آراء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ (آل عمران: ١٥٩).

والأمثلة على ذلك من السنة قصة أسارى بدر عندما قال النبي ﷺ لأصحابه: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»[3].

(١) الأخلاق والسير ص ٥٧.
(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة، لابن رجب ١/ ٢٤، ط دار المأمون.
(٣) رواه مسلم (١٧٦٣).

الضوابط المنهجية لحرية الرأي

هذه ضوابط ينبغي مراعاتها في الرأي، وهي ضوابط منهجية من خلال منظور أهل السنة والجماعة، ويمكن إجمال تلك الضوابط في النقاط التالية:

١- الالتزام بمنهج السلف الصالح: أهل السنة والجماعة، وذلك بالتزام المسلمات والثوابت العقدية والفقهية والأخلاقية، مثل أركان الإيمان والإسلام، والتزام القطعيات في الأحكام، كتحليل البيع وتحريم الربا، والتزام الحدود والصدق والعدل. فهذه الثوابت وأمثالها ليست للنقاش ولا تخضع لحرية الرأي. والنصوص من الكتاب والسنة الدالة على هذا الأصل كثيرة، كقوله تعالى في لزوم سبيل المؤمنين الذي هو فهم السلف الصالح، والوعيد على من اتبع غيره: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا**﴾ (النساء: ١١٥).

وقال تعالى في لزوم أصول الدين: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة: ٢٨).

وفي الحديث: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر»[1]. وفيه أيضاً «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»[2].

وفي باب المعاملات: ﴿**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا**﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وفي باب الأخلاق: ﴿**اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩).

وفي باب الشهادة والعدل: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**﴾ (الأنعام: ١٢٥).

وفي باب العدل والإنصاف: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة: ٨).

---

(١) رواه مسلم (١) من حديث عمر بن الخطاب - ﷺ -.
(٢) الحديث السابق.

وفي باب الحدود قال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢).

وقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ﴾ (المائدة: ٣٨)، وغيرها من الآيات.

٢- تحقيق المصالح الكبرى للأمة كالأمن والطاعة بالمعروف والبيعة، ودفع المفاسد العظمى كالفرقة والفتنة والقتال، ونحو ذلك؛ مما يحفظ للأمة والبلاد أمنها وعزتها ولُحْمتها وعدم المنازعة لولاة الأمور والخروج عليهم، والنصوص في ذلك الأصل كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وقوله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»(١).

وقوله: «اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا»(٢).

وقوله: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»(٣).

وقوله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»(٤).

وقوله ﷺ: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته جاهلية»(٥).

وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة وخرج مات ميتة جاهلية»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٩٧)، والدارمي (٢٥١٩).
(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٤٩٤).
(٣) رواه مسلم (١٢/ ٢٢٤).
(٤) رواه مسلم (٣٤٤٤).
(٥) رواه مسلم (١٨٤٨)، والنسائي (٤١١٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٦).
(٦) رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٩٧)، والدارمي (٢٥١٩).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «من لقي الله وليس في عنقه بيعة لقي الله ولا حجة له، أو من مات وليس في عنقه بيعة لقي الله ولا حجة له»[1].

٣- الابتعاد عما يروج المعاصي والفسوق والرذائل والبدع والأهواء والشعارات المنافية للسنة والجماعة والتحذير من الفسوق والبدع وأهلها، ونصوص ذلك متضافرة وكثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ**﴾ (آل عمران: ٧).

وعن النعمان بن بشير - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن... الحديث» وفيه «ألا وإن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه»[2].

وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»[3].

ومخالفة أمر الله بالمعاصي والسيئات هي سبب البلاء ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ (طه: ١٢٤).

وقال: ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ (طه: ٤٨).

وتأتي البدع أيضاً لتمثل خطراً عظيما؛ حيث حذَّرَنا منها النبي ﷺ في قوله: «من عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[4].

وقال: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[5].

٤- تحقيق ما أمر الله به من مرجعية العلماء ولزوم منهجهم، لا سيما في الأحداث الكبرى والنوازل؛ تحقيقاً لأمر الله ورسوله ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..**﴾ (آل عمران: ٧).

---

(١) رواه مسلم (١٨٥١)، وأحمد (٢/ ٩٧).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه مسلم (٤٩٥٩) من حديث أبي هريرة - ﷺ -.

(٤) هذه رواية مسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦).

(٥) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)، وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء على أظهر أقوال أهل التفسير[١].

كما يدل على هذا الأصل قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[٢]؛ لأنهم أهل الخشية المذكورون في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

٥- الانطلاق في الرأي حول القضايا الساخنة والكبيرة من قاعدة النصح والرفق؛ فالنصيحة من الدين، بل هي مقتضى الدين كما جاء في الحديث «الدين النصيحة»[٣].

وما يتبع ذلك النصح من لزوم منهج الرفق والإشفاق.

وفي الحديث «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٤].

وقوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على غيره»[٥].

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا... »[٦].

٦- التثبت في الأخبار والأحكام والمواقف وعدم الاستجابة للشائعات؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، وفي قراءة «فتثبتوا».

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان (٥٩١٨).

(٣) رواه مسلم (٢٠٥) من حديث تميم الداري.

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٦) رواه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣).

٧- البُعْد عن الحكم على القلوب واتهام النوايا، وتجنب الظنون والتحسس والتجسس والغيبة والنميمة، والكذب والزور والبهتان والظلم، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ (الحجرات: ١٢).

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[١].

ولا شك أن البُعد عن الدخول في النيات هو نتيجة لسلامة المقاصد، وثمرة من ثمرات الإخلاص، ودليل من دلائل حسن النية والعمل؛ لأنه إذا حسن قصد المرء حَسُنت ظنونه.

٨- الابتعاد عما يوقع الشباب والعامة ونحوهم في مواطن الفتن والغلو أو الانفلات والانحراف؛ فقد ذم الله تعالى الغلو فقال: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ (النساء: ١٧١).

وقال ﷺ: «إياك والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٢].

ومن ذلك: تجنب أساليب التهييج والتحريض ونحوها مما لا يدخل تحت مسؤولية الشباب والعامة وما لا طاقة لهم به.

فالتحريض من الفتنة، وما وقعت الفتنة على عثمان رضي الله عنه إلا بالتحريض عليه وانتهت الفتنة بقتله ظلماً - ﷺ -.

٩ - تجنب كل ما يثير الفرقة والتنازع بين أفراد الأمة والمجتمع وفئاته كالعنصرية والانتماءات الحزبية والتنظيمات والتجمعات التي تفرق الأمة والمجتمع وكذلك التصنيفات بغير حق والتراشق والأحكام الجائرة بلا بينات.

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ (آل عمران: ١٠٣).

---

(١) رواه البخاري (٥١٤٣، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٠٢٨).

وقال: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

١٠- تجنب ما يوقع في العنت واليأس والقنوط بين الناس، وأخذ الأمور باعتدال، والتفاؤل بلا تخاذل ولا قنوط وعدم تحميل الناس فوق طاقتهم؛ لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧).

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «سدِّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا»[١].

وقال ﷺ: «لا تشددوا فيشدد الله عليكم فإن من كان قبلكم شددوا فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع...الحديث»[٢].

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»[٣].

والمتنطعون: المتعمقون المتشددون في غير مواضع التشديد.

وقصة بني إسرائيل في أمر الله تعالى لهم بذبح البقرة شاهد على أن التشديد يعود على صاحبه بالضرر؛ فالتشدد في العبادة وغيرها غير محمود.

١١- تجنب كل ما يخل بالأمن والضرورات الخمس التي جاء الدين بها، وتجنب التكفير واستحلال الفساد في الأرض باسم الغيرة على الدين، والإخلال بحقوق البيعة والجماعة والطاعة والعلماء، وقد جاءت النصوص بتجنب ذلك، منها قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...﴾ [الأعراف: ٥٦).

وقوله ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٤) من حديث ابن مسعود - ﷺ -.

(٣) رواه مسلم (١٧٣).

(٤) رواه مسلم (١٨٥١).

وقوله ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتة جاهلية»[1].

كل هذه الأمور من ثوابت الدين العقدية والعلمية والعملية والمنهجية، لا تخضع لحرية الرأي، والولوج فيها بمجرد الرأي فتنة وضلال وهلكة.

(١) رواه مسلم (١٨٤٨).

أبيض

اختلاف التحاور بحسب أصناف المتحاورين

الحوار مع المخالف أياً كان خلافه له أصوله وضوابطه وآدابه، بحسب أصناف المتحاورين؛ فقد كان رسول الله ﷺ يحاور أصناف المخالفين من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين ومسالمين ومحاربين، سواء كانوا من أكابر أقوامهم أو من عامتهم، وكان ﷺ يأخذ بما أدبه ربه في الكتاب العزيز؛ كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقال: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨)، والسيرة العملية للنبي ﷺ ناطقة بذلك وشاهدة.

ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) الحوار مع اليهود:

من ذلك ما جاء عن الفَلَتان بن عاصم وذكر خاله قال: «كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شَخَص بصرُه إلى رجل؛ فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان، قال: فجعل النبي ﷺ يكلمه، وهو يقول: يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا. قال رسول الله: أتقرأ التوراة؟ قال: نعم. قال: أتقرأ الإنجيل؟ قال: نعم. قال: القرآن؟ قال: لا، ولو تشاء قرأته فقال النبي ﷺ: فبم تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبياً؟ قال: إنا نجد نعتك ومخرجك؛ فلما خرجت رجونا أن تكون فينا، فلما رأيناك عرفنا أنك لست به، قال رسول الله ﷺ: ولم يا يهودي؟ قال: إنا نجده مكتوباً يدخل من أمته سبعون ألفاً بغير حساب، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً؛ فقال رسول الله ﷺ: إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[1].

---

(١) رواه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٧-٤٠٨)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية لابن كثير ص ٧٥ قال: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(ب) الحوار مع النصارى:

وجاء في صدر سورة آل عمران إلى ثلاث وثمانين آية منها؛ حيث نزلت في وفد نجران مع النصارى كما يقول الحافظ ابن كثير في مطلع سورة آل عمران[1].

وقال ابن القيم – رحمه الله – في فوائد قصة وفد نجران: «ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة؛ فليولِّ ذلك إلى أهله، وليخلِّ بين المطي وحاديها، والقوس وباريها»[2].

(جـ) الحوار مع المنافقين:

وقد لقي رسول الله ﷺ منهم ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة والأفعال الساقطة، ومع ذلك كان يعاملهم بألطف المحاورة ويحملهم على ظواهرهم دون بحث عما تكنّه سرائرهم.

(د) الحوار مع المشركين:

وكان ﷺ يرغبهم في الإسلام، فمن ذلك وفد ضمام بن ثعلبة الذي أجابه النبي ﷺ عن أسئلته بحلم وصبر وعلم؛ فكان سبباً لدخول ضمام في الإسلام[3].

(هـ) الحوار مع العلمانيين والليبراليين وأصحاب التغريب ونحوهم:

وهذا يتطلب معرفة تامة بما عليه القوم وما يدينون به من اتجاهات، وأفكارهم، والاطلاع على خططهم ومخططاتهم، وحقيقة مواقفهم تجاه الإسلام، وولائهم للكفار.

(و) الحوار مع الغلاة كالخوارج ومن نحا نحوهم:

وهم ذوو حدة وفيهم انغلاق ولا يقبلون الرأي الآخر ولا يطيقون سماعه؛ لأن الغلو يصيب صاحبه بالحمق وقصر النظر والغضب والانفعال والعنف.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٥١).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٣٩).

(٣) وحديثه في الصحيحين: البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

وهؤلاء يحتاجون إلى نوع من الحوار لا يعتمد على النصوص فقط؛ لأنهم يتأولون النصوص بأهوائهم وعلى غير تأويلها، كما وصفهم النبي ﷺ بأنهم «حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام... الحديث»[1]، ومن خلال محاورة الصحابة والسلف الصالح مع هذا الصنف نجد أن أفضل أسلوب معهم هو الحوار المنطقي العقلي، كما فعل ابن عباس - رضي الله عنهما - معهم.

كما يمكن تذكير هذا الصنف بالغير وأخذ العظة والدروس التاريخية التي حصلت على أسلافهم الغلاة ومنهم، وكيف كان أثرها السلبي على الإسلام والمسلمين، وبيان عواقب المناهج الخاطئة لأهل الغلو أياً كانوا.

(١) رواه البخاري (٥٠٥٧) من حديث علي بن أبي طالب - ﷺ -.

أبيض

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فقد يسَّر الله تعالى إنهاء هذا البحث على عجل، وبه نخلص بالنتائج التالية:

١- أن الرأي هو وجهة نظر يبديها الإنسان، قد تكون صائبة إذا توافرات فيها الشروط، وقد تكون خاطئة إذا لم تتوافر فيها الشروط.

٢- أن وسيلة الرأي هي العقل وله مكانته في الإسلام، دون دخوله فيما لا يخصه من أمور الغيب وثوابت الدين، ودون تقديمه على نصوص الوحي.

٣- أن مصطلح حرية الرأي عند الغرب من المصطلحات التي استخدمت لإسقاط ثوابت الحق والقيم والأخلاق الفاضلة، وصدِّرت إلى ما يسمى بالعالم الثالث؛ فأصبح الغرب يفرض رأيه ومعتقده وأخلاقياته على المسلمين تحت شعار «الحرية»، وتبعهم في ذلك العلمانيون والليبراليون والحداثيون والباطنيون وغيرهم بدعوى حرية الرأي وحرية السلوك.

٤- عوامل سداد الرأي كثيرة، منها: العلم وسلامة المنهج والإخلاص وصدق النية والتجربة، والحكمة والتجرد من الهوى، وتوافر القدرات وصحة المعتقد والتقوى، والورع والرفق والأناة.

٥- أن ثمة آداباً للرأي وحرية الرأي (الحوار)، منها: استصحاب النية الصادقة وتقوى الله، والتواضع وعدم الترفع، وإعطاء المحاور الفرصة كاملة لعرض ما عنده، وحسن الإصغاء والاستماع لصاحب الرأي الآخر، وإنزال المحاورين منازلهم، والتسليم لصاحب الرأي الآخر إذا كان رأيه صحيحاً، واستنباط آراء المحاورين واستشارتهم.

٦- أن ثمة ضوابط منهجية للرأي من خلال منظور أهل السنة والجماعة؛ كالالتزام بالدليل الصريح، وبالمنهجية والمسلَّمات والثوابت العقدية والتزام القطعيات من الحلال والحرام، وتحقيق المصالح الكبرى للأمة كالأمن والبيعة

والطاعة بالمعروف وعدم الخروج على أولياء الأمور ودفع المفاسد، والابتعاد عن المعاصي والفسوق والرذائل والبدع والأهواء والشعارات المنافية للسنة والجماعة، وتجنب الفرقة وما يؤدي إليها، ولزوم المرجعية للعلماء والانطلاق من النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم والتثبت في الأخبار والبعد عن الحكم على القلوب واتهام النوايا.

٧- أن المحاورين أصناف، وقد حفل القرآن والسنة بأمثلة على التحاور مع اليهود والنصارى والمنافقين والوثنيين وغيرهم، والسنة العملية جاءت بأمثلة على ذلك، كما ذكر القرآن أمثلة على تحاور الأنبياء مع قومهم، واستخدم السلف أسلوب الحوار مع الموافقين والمخالفين كالخوارج والغلاة.

التوصيات

١- إعداد برامج ودراسات وبحوث لضبط مسار حرية الرأي، وعلاج مظاهر الخروج عن المنهج الحق في ذلك.

٢- تثقيف الشباب من خلال وسائل التربية العامة والخاصة وعقد ندوات وحلقات نقاش ودورات لهم؛ تبصرهم بالموقف الشرعي من دعوى حرية الرأي ممن ينتهكون الثوابت والقيم والأخلاق تحت هذا الشعار الخادع.

٣- إفساح المجال للعلماء ليقوموا بدورهم في المجتمع وتمكينهم من القيام بواجب النصيحة، لاسيما للشباب المتوثب الغيور.

٤- التحذير من التيارات الوافدة والغريبة عن ديننا، التي تقتحم عقول الأجيال وتحرفها عن الحق باسم الحرية.

٥- استغلال أوقات فراغ الشباب في الإجازات الصيفية من خلال تنشيط مراكز الشباب، واستيعاب طاقاتهم، وتفريغ عواطفهم الجياشة في العمل الإيجابي النافع لدينهم وبلادهم، وحمايتهم من غوائل الانفلات أو الغلو.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أبيض